



المعبودات الوثنية ببلاد المغرب القديم – تأصيل تاريخي -
Pagan deities in the ancient Maghreb - a historical rooting –

مختار ناير (*)

جامعة وهران 1، الجزائر

nairmokhtar@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/15 تاريخ القبول: 2021/01/10 تاريخ النشر: 2021/04/30

الملخص:

تشكل المعتقدات الوثنية في بلاد المغرب القديم النواة الأولى للديانة الأولى لدى الشعوب المغاربية المستوطنة للمنطقة، هاته الأخيرة التي ارتبطت بمعتقداتها وديانتها لاحقاً، وباحتلال الرومان للمغرب القديم حملوا معهم دينهم ومعتقداتهم وطقوسهم الدينية على السكان المحليين، بل ابقوا على ديانة شعوب المنطقة المغلوين عسكرياً، بمرور الزمن حصل في بلاد المغرب القديم امتزاج بين الديانة المحلية المتجذرة والمعتقدات الدينية الوثنية الأخرى الوافدة مع الرومان أو التيارات الدينية الإغريقية بالفينيقية والمصرية الفارسية التي جلبت مع تجار أصقاع العالم القديم، وكان للرومان في الأخير أن تركت لشعوب المستعمرات الرومانية كامل الحرية في ممارسة واعتناق الديانة التي يريدونها.

الكلمات الدالة:

المعتقدات، الطقوس، المغرب القديم، السكان المحليين، الرومان، الوثنية

Abstract:

The subject of paganism and origine of deities in the ancient Maghreb ,was usually difficult for researchers and scholars,the need of wrinting sources and the rare of archeological researches are the most reasons . By the Romain conquests of Africa and the fail of cartage 146 BC,the Romans brought their deities which were not pure Roman but rather mixed with other belirfs, including local ones such as Numidian and Mauritanian gods,as well as the eastern Phoenician Egyptian,Syrian, Persian and Carthaginian deities .In addition to other beliefs from the northern Europe,such as the Celtians and Normandians . All these deities spread on the land of the Maghreb in the antiquity . The gods melted together and formed the Roman

(*) المؤلف المرسل: ناير مختار nairmokhtar@gmail.com



pagan religion .Finally,this religion became known as the unique Roman religious tolerance .

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Key Words:

Deities; Gods; Paganism; Religion; Roman paganism; Maghreb in the antiquity; Mythe; Rites; Carthage.

مقدمة:

لا يختلف اثنان إذا قلنا أن المعتقدات الوثنية القديمة شكلت نواة الديانة الأولية عند الشعوب القديمة، فكانت هذه الشعوب مرتبطة أشد الارتباط بمعبوداتها سواء تعلق الأمر بالرومان أو شعوب البلاد التي دخلت ضمن دائرة سلطانهم. ولو أن الرومان باستيطانهم بلاد المغرب القديم حملوا معهم تراثهم الديني ممثلا في معتقداتهم، إلا أنهم مع ذلك لم يفرضوا طقوسهم الدينية على غيرهم، بل أكثر من ذلك أضفوا أسماءاً رومانية على معتقدات شعوب المغرب القديم، وهذا كونهم يحترمون ويقدمون آلهة المناطق التي احتلوها.

وموضوع المعبودات الرومانية شكل للباحثين والدارسين صعوبة منهجية كون المعتقدات الرومانية لم تكن رومانية خالصة، نظرا للامتزاج الديني بين الشعوب القديمة؛ فالرومان أخذوا عن الإغريق كما تجاوبوا مع الآلهة المصرية والكنعانية والفينيقية ثم البونية ومع معبودات بلاد المغرب القديم. فكانوا القاسم المشترك لكل هذه المعبودات الانسجام المحير والملفت، فحسب الرومان ان تفوقهم العسكري مرده نصره كل هذه المعبودات على اختلافها للرومان -وهذا حسب الاعتقاد الروماني- ويمكننا أن نخلص إلى القول أن ديانة الشعوب المغلوبة دخلت وانصهرت في الإرث الديني الروماني، لكن السلطات الرومانية تركت الحرية الكاملة للأفراد في بلاد المغرب والمناطق الأخرى، فهم أحرار أن يتخذوا آلهة محلية أو آلهة أخرى وهي ما يعرف بسياسة التسامح الدينية الرومانية.

أولا- نظرة على المعتقدات الوثنية



إن دراسة المعتقدات الوثنية في المغرب القديم، ليس أمراً هيناً وذلك لقلة المصادر الأدبية والمادية وتناقضها في كثير من الأحيان، بالإضافة إلى صعوبة معرفة أصولها نظراً للتمازج الذي عرفته عبر العصور والحقب التاريخية المتعاقبة. وبإدراك ذي بدء لابد من معرفة أصل المعتقد وكيف تطور تاريخياً ليصبح ديناً وثنياً متكاملًا.

1- مفهوم المعتقد:

جاء في القاموس التاريخي حول ماهية ومفهوم المعتقد على أنه "شعيرة واحتفال ديني وتضحية¹؛ فالمعتقد موجود بذاته وحتى أن الطبيعة لا تستطيع تجسيده فهو ذلك الإله الذي لا يحمل أدنى هيئة ولا اسم، فنمط وجود المعتقد (الإله) في أسوأ صور الكمال والإرادة والذكاء الخارق، أضف إلى ذلك حاجة البشر إلى قوة يؤمنون بها، وهذا ما سيظهر في شكل إله وثني وضعي أو اعتقاد غيبي². وكثيراً ما ارتبط الجانب العقائدي قديماً بالأساطير، فمنذ ظهرت الأسطورة "Mytos" وعرفت فهي ثنائية جوهرها الفكرة والخيال³.

وفي خضم هذا الكون الصاحب الذي عاش فيه، ظل إنسان العصور القديمة -إنسان المغرب القديم على وجه الخصوص- أسيراً لقوى مختلفة يخاف شرها ويرجو خيرها، وفي نفس الوقت لا يدري حقيقتها؛ إذ أخذ بذلك يتمثل تلك القوى بما يمليه عليه خياله، فأصبح يعتقد فيها؛ إذ أن هذه القوى الخارقة "Supra Natura" بيدها الضرر والنفع، فأخذ الإنسان يدين بها ليدراً شرها، كما يقدم بين أيديها الخير والأعطيات. ومن ثمة أدى هذا إلى ظهور الإرهاسات الأولى والبوادر الأولية للمعتقد الديني الذي يعدّ أشدّ جوانب الثقافة تجريداً وبعداً عن الحياة الحيوانية (الغريزية)⁴.

والإنسان القديم، عندما بدأ الاعتقاد في وجود قوى خفية تتحكم بالكون، سار ليُجسّد فكرة التجمع الإنساني، وبحكم وجود الإنسان في المجتمعات القديمة حبيس عالم الغوامض لا يستطيع إدراك خفاياها وكوامنها، وأنها تُسيطر إلا على جزء ضئيل منها، فلجأ إلى الخضوع والاستكانة فتوجه شيئاً فشيئاً إلى إرساء ما يُسمّى بالتوجه التعبدية (Adversum Sacrorum) كلبنة أولى للتماثيل والنصب⁵. إن كل معتقد ديني، مهما كان بدائياً فهو "أنطولوجيا" (علم الكائن)، ويصدر هذا المعتقد (Cultus) عن أشياء مقدسة وصور إلهية⁶، وعلى هذا فإن المعتقد يتضمن تخمين حول أحداث مجهولة، كما أنه أيضاً حركة مطابقة لهذا التخمين (Augurium)، وهذا ما حاول الإنسان القديم، تحقيقه انطلاقاً من فكرة الغيبي، ويرى مؤرخ



الحضارات "تويني" (Toynbee) أن فكرة التخمين الأسطوري لعبت دورا هاما في بلورة المعتقدات الدينية القديمة.

أضف إلى ذلك، ارتباط المعتقد بالطبيعة "Natura Rerum" فهو بذلك -أي المعتقد- الأكثر قدما والأكثر دُيوعاً على حد تعبير وتعريف دوبوي "Dupuis" في كتابه "أصل المعتقدات" وعليه فإن المعتقدات الوثنية ببلاد المغرب القديم كانت وثيقة الصلة بالطبيعة "Natura" وهذا ما جعلها "معتقدات قوية potens divinat" عبرت عن عُرى الصلات بين الناس والقوى الإلهية على غرار ماكان سائدا عند المصريين والإغريق. وما من شك أن المعتقدات القديمة كانت مرادفة للأسطورة-، هاته الأخيرة التي تناقلتها الرواية الشفوية من عصر إلى عصر وبالتالي كانت المعتقدات الوثنية والميثولوجيا في حوض البحر المتوسط القديم على صلة وثيقة (Cultus+Mythos).⁷

في حين أن الأسطورة الدينية (Mythos- Divus) تحيلنا إلى خوف الإنسان البدائي من هذه الأساطير التي خلقها هو بخياله وتفكيره البدائي، فتكونت اللبنة الأولى "لديانة الغوامض Divinata Mysteria" التي هي في الأصل "الخرافات Superstitio" كأدنى شكل من أشكال المعتقدات.⁸ وإن صراع الإنسان مع القوى الغيبية، يعطينا فكرة عن إيمان البشر بوجود هذه القوى التي تتحكم في المصائر، وفي بعض الأحيان سعي الآلهة لإلحاق الأذى بالبشر أو لتحدي الإرادة البشرية؛ على غرار ما تمثله ملحمة "عولس" في الأوديسا⁹. فالمعتقدات القديمة ومن هذا المنطلق كانت تجسد "انصهار تاريخي Fusion historique" للخرافات والتعاويد والأساطير والقصص الشعبية والأحداث الخارقة قام بها بشر غير عاديين أمثال عولس-أخيليوس-هرقل أو اسكندر المقدوني.

لقد كان انسان المغرب القديم يعتقد في قوي خفية ويؤمن بظواهر مرئية مثل عبادة الأجرام والكواكب على غرار الشمس والقمر فعبدتها كآلهة وجب عليه استرضائها بتقديم القرابين حسب روايات هيرودوت وغيره من الكتاب¹⁰. وإن الدلائل الأثرية كالمداخن في العصور الحجرية لبلاد المغرب القديم ستكون النواة الأولى لتكريس المعتقد والإيمان بحياة أخرى "la vie-Au-delà"¹¹. وكما ارتبط المعتقد Cultus بالأسطورة، فإنه كان كذلك وثيق الصلة بالشعائر السحرية، فقد يلجأ إلى التعاويد السحرية قصده طول المطر، علما أن بلاد المغرب القديم عرفت بقلّة التساقطات والجفاف وانتشار الأراضي القاحلة، فاستخدم السكان الأوائل لبلاد المغرب "تعويذة أنزار Rituel d'Anzar" أو ما يعرف بـ "خطيبة الأمطار la Fiancée de la pluie".



pluie"¹²؛ فالمعتقد الديني في هذه الحالة كان قرينا للسحر لجلب الأمطار وخصوبة الأرض Ager opimus.

وبخصوص المعتقد نورد هنا نص "بلين الكبير Pline l'ancien" يقول فيه عن أصل المعتقد مايلي: "إن العالم الذي نسميه السماء والذي يظهر لنا في أوسع أرجائه يلتقي بالأحياء الأخرى، يجب أن ينظر إليه كإله خالد لم يُخلق، غير قابل للتحطيم والبحث عن حقيقة بدون تدخله هو شيء ليس فقط غير مجدي للإنسان، بل أكثر من ذلك فهو فوق مداركه وطاقته الروحية، هذا الذي نسميه السماء هو وجود مقدس شاسع، أزلي، ويحتفظ في ذاته بكل شيء، وهو في نفس الوقت من صنع الطبيعة، والطبيعة في حد ذاتها، ومن المغبة التجرؤ والتمرد على دائرة سلطانه وقدرته للبحث عن وجود آخر"¹³. فهنا "بلين Pline" ومن خلال نصه يستعرض لنا صعوبة تحديد هوية المعتقد من حيث أصله وحقيقته لكنه مع ذلك يقدم لنا صورة إعجازية لهذا الإله الخالد الجبار المتحكم في مصائر البشر والذي ليس كمثله شيء فبليونيوس كان في نصه أحسن ممثل للتفكير القديم واعتقاده في القوى الخفية التي تسيّر نواميس الكون ويبين لنا في نفس الوقت مدى عجز البشر أمام هذا الكائن الأسى (Summus Divus) لا في فهمه ومعرفته فحسب، بل أكثر من ذلك وقوفه مسلوب الإرادة حيال الآلهة، وكما أن هذا النص يعطينا فكرة ولو مصغرة عن منزلة ومكانة المعتقدات الدينية عند الرومان والشعوب القديمة التي هي في المقام الأول تمثل درجة الرفعة والوقار للمعتقدات الوثنية¹⁴.

والمعتقدات هي بصفة عامة تعني كل ما هو متعلق بالطبيعة الغيبية الخارقة وأقدم وجود والأكثر شمولية في الكون وتشكلت في الفكر الإنساني على شكل احتفالات طقوسية وتعبدية تقام على مقربة "المذابح Altaria Autels"¹⁵*. وإن كل ما يتعلق بالطبيعة (Natura-Rerum) فهو متعلق بالأسطورة Le mythe، وهذه الأسطورة ستتطور بمرور الزمن وبفعل الرواية الشفوية التي تضيف أشياء وأشياء –وأغلبها فوق الخيال- لتصبح في الأخير اعتقادا راسخا لن ينمحي، فتتكون المعتقدات¹⁶.

ثانيا- معتقدات ما قبل الاحتلال الروماني ببلاد المغرب:

إن المعتقدات المحلية لسكان بلاد المغرب القديم قد تميزت بالامتزاج الواضح، فمن المؤكد أن الصلات الحضارية بين بلاد المغرب القديم وباقي المناطق الأخرى كمصر القديمة مثلا، كانت وثيقة الصلة والترابط بحيث نعتقد أن الدين كان أحد الظواهر الاجتماعية الروحية قد عرف هذا التأثير والتأثر بين الصقعين¹⁷. فالليبيون القدماء وخاصة الرُّحْل منهم الذين كان غذاؤهم



الأساسي مُكوّنًا من اللحم والحليب لم يتورعوا عن أكل لحم البقر، وهذا تبجيلا وتقديسا للربة "إيزيس Isis" المصرية¹⁸، وهي المعبود التي لم تنفصل عنها إلهة النيل والأرواح "أوزيريس Osiris" التي عبدها السكان حتى العهد القرطاجي في نوميديا وموريطانيا¹⁹.

وحسب روايات "هيرودوت Hérodote" فقد عبد سكان بلاد المغرب القديم الإله "هيرقوليس Herculis" أو هرقل، فتقربوا له بواسطة "القرابين Libamentum" كما عبدوا قوى مرئية ذات التأثير المباشر على الإنسان في المغرب القديم، ومنها معتقدا الشمس والقمر، ولئن كانت الشمس والطقوس التعبدية المقدمة لها، تعبر عن مدى خضوع الإنسان قديما لهذه الآلهة المرئية بتقديم شتي "القرابين Sacrificium"²⁰، وبالتالي عبد الليبيون الأوائل القمر و'الشمس القاهرة'-sol-invictus ونخلص إلى القول بأنه وصلت مؤثرات دينية مصرية كمعتقدا "إيزيس وأوزيريس" إلى بلاد المغرب القديم، كما وصلت في المقابل مؤثرات مغربية إلى إقليم مصر، أي وجود أصول مشتركة بين الإقليمين قبل مجئ الفينيقيين.

وقبل استقرار الفينيقيين ببلاد المغرب القديم كان ازدهم الديني مزيجا من المعتقدات الشرقية (الإغريقية-والفارسية) وإن ركوب الفينيقيين البحر وارتياهم مختلف مرائي ومحطات الحوض الغربي للتبادل التجاري، وبالتالي حملوا معهم معتقدات دينية جديدة واستقرارهم بقرطاجة "المدينة الجديدة" تم لعليسا-ديدون السيطرة السياسية أعقبها فيما بعد "السيطرة الدينية النسبية" كون أن السكان المحليون كان لهم معتقدات محلية خاصة بهم، فعلى سبيل المثال كان للموريين آلهة وللجيتول آلهة؛ وتشير التنقيبات الأثرية إلى وجود ربة مورية بمنطقة عين تيموشنت-Albulae²¹. كما عبد المغاربة أيضا "الكبش أمون Ammon" والذي انتشرت عبادته في كل أنحاء بلاد المغرب القديم وامتدت حتى الجنوب (منطقة تمنطيط والبقار) وعلاقة هذا المعبود بالشمس دفع البعض إلى ربطه بالإله المصري بطيبة²². وهناك دلائل مادية أخرى تجعلنا نعتقد أن السكان المحليون كان لهم معتقداتهم الخاصة بهم، وما كانت المعتقدات الفينيقية ولاحقا القرطاجية إلا الامتزاج والعيش في جو من السماحة، لكن أفرز لدى الباحثين صعوبات جمة للتمييز بين مختلف الآلهة والديانات المحلية والوافدة²³.

وخلال الفترة القرطاجية، عرفت بلاد المغرب القديم انتشار الآلهة الرسمية (Divinités du premier rang) وآلهة أخرى تأتي بالمرتبة الثانية من حيث الاهتمام وعدد معتنقيها؛ فالآلهة الرسمية شيدت لها المعابد (templi) وقدم لها عبر احتفالات مهيبه "قرابين بشرية Sacrificii liberi" فالقرطاجيون تقربوا إلى آلهتهم وقدموا دماء أطفالهم²⁴.



ولم تنقطع هذه الشعيرة الدموية، بل تواصلت إلى غاية فترة الاحتلال الروماني ببلاد المغرب، فيسمى الكاتب "ترتوليانوس Terlutien" تقديم القرابين البشرية بـ"القتل الشعائري Meurtre Rituel"، فأبناء الإله ساتورنوس Saturnus تم التضحية بهم "Immolo" في بلاد المغرب علانية حتى عهد تيبيريوس، ويندهش ترتوليانوس Tertulien متسائلاً: ماذا بقيت من عاطفة الأبوة؟ حين يتجرأ الأبناء بتقديم فلذات أكبادهم عن طيب خاطر "De bon coeur"، بل ويمنعوهم من البكاء²⁵. هذه القرابين التي كانت تقدم لمختلف الآلهة على غرار ساتورنوس وكاليسستيس وآلهة أخرى وقد تكون حيوانية كالثيران والكباش والطيور، أو من بواكير الفواكه كالرمان والعنب أو في شكل سوائل كالخمر والزيت، وكانت هذه القرابين لجلب الخير والحصول على رضا الآلهة²⁶. فتانيت الربة القرطاجية قدمت لها قرابين بشرية خاصة الأطفال وأسرى الحرب، وذلك تقرباً للقوى الغيبية وكانت "تانيت" من أهم المعتقدات القرطاجية، وكنظير للمعبود تانيت كان هناك المعبود الشهير "بل أمون Baal-Hammoun" فمعلوم أن "بعل" هو معتقد كنعاني والذي يرمز إلى القيادة وهو بمثابة زوج لتانيت²⁷.

أما أمون فهو معتقد مصري قدسه المصريون وكثيراً ما اقترن بالآلهة "إيزيس" والجداريات الهيروغليقية تزخر هذا المعتقد²⁸، واعتبر "بعل أمون" الرب الأقوى ومرادفاً لأكبر معتقد عند الفينيقيين phéniciens "إيل" الذي يعني الإله²⁹. إن الديانة الوثنية احتلت مكانة مرموقة في الحياة الاجتماعية لدى كل الشعوب القديمة ومنهم القرطاجيين؛ إذ لا ننسى الأصول السامية لهذا الشعب الذي هو جد مرتبط بمعتقداته على غرار الشعوب القديمة. إذ كان عند القرطاجيين راهب رسمي ينتخب من ضمن العائلات الكبرى في المجتمع القرطاجي، وقد ينتقى هذا الكاهن من "القيادات السامية Summus magistratus" في الدولة، وكان الإيمان راسخاً ومتعلقاً بالآلهة بدءاً من الفرد البسيط في الإمبراطورية القرطاجية إلى أعلى قائد، فحنبل Hannibal يتضرع للإله "ملقارت Melkart" ثم للإله "هرقل Herculis" قبل الخوض في المغامرات الحربية وهي عادة ممارسة في القديم³⁰.

إن معتقد "بعل أمون" الذي ذكر أنفاً والذي يجسد الرجولة وظهرت صورته رفقة آلهة أخرى على بعض النقود (المسكوكات Numismatiques)؛ فهذه مثلاً قطع نقدية تبرز صور الرب بعل ملكارت effigie de Baal melkart وهو ملتهج وتظهر النقود صور هذا المعتقد كاملة ولكن بدون رقبة³¹.



ولو أن صاحب كتاب "المسوخ les metamorphoses" ويقول أن أمون Hammon ليبي ذو قرنين ملتويين³² فاختلفت صور "أمون" و"بعل" على غرار المعتقدات الأخرى. كما نجد الرومان فيما بعد وخاصة قادة الجيش يهدون في مراسيم مهيبية قرايين مختلفة ويتقربون بها للآلهة الحامية وعبر نذور Vota Facere في الكابتول Fama Capitol الشهير لجلب رعاية الآلهة في أشد اللحظات الحرجة كوجود الجيش الروماني في حالة خطر وشيك³³، والأمثلة والشواهد التاريخية كثيرة عن لجوء البشر للقوى الغيبية لطلب عونها حين تعجز إرادة البشر.

ومما سبق، يمكن القول أن سكان بلاد المغرب القديم بما فهم القرطاجيين اعتقدوا في القوى الغيبية؛ فتعددت المعتقدات واختلفت بين ما هو محلي أو شرقي وافد، لكن قاسمها المشترك هو التعايش السلمي بين المعابد. فهل اختلف الوضع في الجانب العقيدي حين حل بالقوة السيد الجديد "الرومان imperio Romano"؟ وماذا حل بالمعتقدات المحلية؟ لأن الوافد الجديد سوف ينقل معه فكره ومن ضمن فكره اعتقاده الديني.

ثالثا- الدين الجديد والوافد الجديد:

يقول "شيشرون Ciceron": "إذا عقدنا مقارنة بين الشعب الروماني والأمم الأخرى، سنلاحظ أن هذه الأمم تفوقت أو ماثلت الرومان في كل شيء، لكن الشعب الروماني فاق كل الشعوب في تعظيمه للآلهة". فهل حق لشيشرون أن يقول هذا الكلام وهل ما قاله مبالغ فيه؟ فكل الشعوب الغالبة والقوية التي فرضت وجودها بقوة السلاح، مقولة "شيشرون" حسب اعتقادنا تريد أن تبرر قوة الرومان وتؤكد أن هيمنة الإمبراطورية الرومانية متأنية من قوة معتقداتها؛ بمعنى أن الديانة والآلهة الرومانية هي التي خلقت تفوق روما Supra Urbs.

إن ديانات الشعوب المغلوبة –على غرار الإغريق والأسويين وسكان بلاد المغرب والغاليين وحتى القرطاجيين- دخلت في خضم التراث الديني الروماني، حتى أن "فارون Varron" أحصى حوالي 30.000 إله Deus³⁴. وبعد القرطاجيين سيدخل مسرح تاريخ بلاد المغرب القديم وافد جديد، وضع حدا للسيطرة القرطاجية، بل ودمّر قرطاجة Delenda cartago est في 146 ق.م، فتحققت آمال "كاتون" رغم استبسال القائد القرطاجي "أذربعل Asdrubal" ورجائه الكبير في عناية ونجدة الآلهة ودفاعها عن المدينة³⁵ فلا السيدة المجلّة "تانيت Tanit" ولا المعبود الأعظم "بعل أمون" استطاعا ردّ عدوان الرومان³⁶.

إن المعتقدات الرومانية بالمغرب القديم قد تمّ تنظيمها على الأرض الإفريقية كونها ستلعب دورا هاما في تكريس "سياسة الرومنة Romanisation" وتمكين المستوطنين الرومان-الأسيا



الجدد- ببلاد المغرب من ممارسة شعائريهم³⁷. أما بخصوص الآلهة الرومانية بالمغرب القديم فقد تعددت واختلفت، فمنها الرومانية المحضة جُلِبَت من إيطاليا ومنها المعبودات الإغريقية-رومانية، وعن جلب المعتقدات كان في مراسيم قام به الحكام والأباطرة الرومان، فالإمبراطور "كلوديوس Claude" عندما قام بنقل معتقد كيرس Cultus cérés من أرض الإغريق وبالضبط من منطقة "أتিকা Attique" وقام بتوطين هذا المعبود بروما Urbs³⁸.

وقبل الإتيان على موضوع المعتقدات الرومانية ببلاد المغرب، يجدر بنا أن نوضح بعض المسائل المتعلقة بالمعتقدات Cultu، فأَي معبود كان يتمّ التقرب له بتقديم القرابين Sacrificium والتي اختلفت بين البشرية. وعادة تكون من الأطفال أو الأسرى immolo liberorum؛ إذ أن التضحية البشرية هي من الشعائر الكنعانية القديمة³⁹، أو قرابين غير بشرية على غرار الحيوانات. وتقديم القرابين البشرية حسب الأركيولوجيين هو سبيل لطلب الخصوبة من جهة، ومن جهة ثانية يضمن للمعبود الذي يُقدّم له القران البشري Sacrificium homes فهو يحقق له الديمومة والخلود لأنه بمرور الزمن يفقد المعبود الفعالية الدينية، فالفداء البشري يسمح بإحياء المعبود من جديد⁴⁰.

أما عن عطايا Libatio الآلهة فاختلفت فمنها السائلة كالحليب والخمر ومنها المعادن النفيسة والعادية؛ فالتاريخ الروماني يُخبرنا قصة "فيتيليوس Vitellius" الذي اتهم بسرقة عطايا Offrandes وسرقة زخارف Ornements المعابد ووضع النحاس والقصدير محل الذهب والفضة⁴¹، وهذا يبين مدى أهمية المعبودات الرومانية بحيث يقدم لها الذهب والفضة على غرار آلهة مصر الفرعونية والأزتيك في المكسيك القديم. كما أن الرومان اعتقدوا في روح الأموات؛ إذ عُدَّ معتقد الأموات culte des morts المقتبس من الإيتروسك Etrusques وهو في جوهره الخوف والخشية من روح الميت؛ إذ أن الروح تعتبر مؤذية وخطيرة، لذا وجبت القيام بطقوس شعائرية لامتصاص غضب وتهدة روع هذه الأرواح ومغبة انتقامها من الأحياء⁴².

إنه هاجس الخوف الذي شكله معتقد "روح الأموات Cultus Dii Manes"، وبدا أكثر من غيره جديرا ببذل كل شيء لارضائه⁴³. وهذا الكاتب "أوتروبيوس Eutrope" يُؤوّه بانتصارات الجيوش الرومانية وبآلهتهم، "فجنو Juno" وكل الأرباب الحامية للأفارقة الذين غادروا أرضهم دون أن يثاروا لهزيمتهم أمام الرومان، وسوف يؤتى بأحفاد المنتصرين ليقدموا قرابين إلى روح mânes يوغرطة⁴⁴.



أما بخصوص "الطقوس الجنائزية Rites funéraires" فقد تحمل زخارف تتعلق بخلود النفس البشرية، وتقديس كل ما هو ماضٍ؛ فقد كان الرومان ببلاد المغرب والمستعمرات الأخرى شديدي التمسك بماضيهم، والماضي كان يمثل لديهم كل معتقداتهم الدينية؛ إذ أن كل عبادتهم تركز على ذكريات الآلهة وأعمالها وقوتها وطبيعتها وغضبها، وبالتالي فالتاريخ الروماني مبني في الأساس المادي على وجود وحضور الآلهة في كل شيء⁴⁵.

ولقد أضفى الرومان بأسماء لاتينية على الآلهة المحلية القديمة؛ فأصبحت "تانيت Tanit" الفينيقية-القرطاجية أصبحت تسمى "جونوكايليستيس Ivon Caeslestis" الرومانية والتي عدت أهم الآلهة الرومانية الرئيسة في قرطاجة الرومانية فهي حامية المدينة⁴⁶، أما "جونو Junon" فهي ربّة الأسرة وقد استمرت الربة "كايليستيس Caelestis" تسيطر على أفئدة السكان في إفريقيا الرومانية إلى حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي⁴⁷؛ إذ تجمع معظم الدراسات وحتى المصادر على هيمنتها الدينية؛ إذ سميت بـ "بعلات la Baalat"⁴⁸. وهذا الكاتب "أبوليوس Apulée" فيُشيد بالمعتقد "كايليستيس Caelestis" ويعتبرها حقيقة كل وجود ومصدر ومبدأ الأزمنة فهي المعتقد السامي⁴⁹.

أما الإله "بعل آمون" القرطاجي سوف يعرف عند الرومان باسم "ساتورنوس Saturne-Saturnus" الذي هو إله الأرض والزراعة وسيد السماء، وقد عُبد وقدس في كامل أرجاء بلاد المغرب القديم⁵⁰، ونعتقد أن ساتورنوس وكايليستيس عرفا انتشارا في كل الشمال الإفريقي القديم بما فيها بلاد المغرب.

رابعاً- سياسة الرومان الدينية:

إن الرومان وإن دخلوا بلاد المغرب بالقوة والدم، وحتى إن دمروا قرطاجة وفتكوا بسكانها واستعبدوا لاحقا سكان بلاد المغرب واستحوذوا على أجود الأراضي، إلا أنهم في مقابل كل هذا، احترمو معتقدات الشعوب المغلوبة، بل وقدسوا آلهة بلاد المغرب، كونها معتقدات محلية تحمي هذه البلاد من كل الشرور والأخطار، ومنه يمكن القول أن "روما Urbs" لم تعلن الحرب ضد المعتقدات المحلية ببلاد المغرب القديم، بل أكثر من ذلك، فقد ساهمت روما في نشر الديانة البونية بأسماء رومانية ولاحقا سوف تسهم في نشر المسيحية إلى كامل أنحاء العالم القديم⁵¹.

ومن خلال النقوش اللاتينية ونصب الرب "ساتورنوس Saturnus" نجد الأسماء الرومانية للأشخاص إلى جانب الأسماء البونية والليبية؛ فالغالبون والمغلوبون عبدوا نفس الإله وأدوا



نفس الطقوس الشعائرية وفي نفس المعابد⁵². وتجمع آراء المؤرخين ومختصي علم الأديان القديمة، أن الرومان لم يفرضوا أفكارهم الدينية ولا شعائهم وطقوسهم على الشعوب التي احتلوها⁵³. فقد عاشت المعتقدات المحلية في وئام وتعايش كبيرين من جهة المعتقدات الرومانية العديدة، ومن جهة أخرى المعتقدات الليبية-البونية libyco-puniques، وكما جرت العادة في روما مثل ماهو الشأن في قرطاجة ويتمثل في الخضوع والتزام المبادئ في المعاملات والطقوس الدينية، حتى ولو لم يتوفر شرط الإيمان في ضرورة وجود المعتقدات.

إن السكان ببلاد المغرب القديم، سواء كانوا رومان أو محليين فقد كان قاسمهم المشترك هو حماية الآلهة والقوى الغيبية لهم⁵⁴. فالسياسة الدينية الرومانية كانت تشكل عامل تجميع وليست أداة لشجب ومحاربة المعتقدات المحلية؛ فالرومان احترمو المعتقدات دون استثناء واحتضوها⁵⁵. إن الديانة الرومانية تقبلت بين جناباتها وفي كنفها تعددية دينية-polythéisme وفي خدورها Harem الديني عدة آلهة مختلفة وتجلت السيطرة الرومانية العقديّة عبر تنظيم ديني وتراتبية دينية محكمة⁵⁶.

ويرجع سبب احترام الرومان للمعتقدات الأخرى، لخوفهم من آلهة الشعوب المغلوبة ومن انتقامها؛ فهذه الرهبة والخشية لدى الرومان جعلتهم يسلكون هذه السياسة. إن الثراء الذي عرفته المعتقدات الرومانية وتنوع المعبودات وكثرتها، جعل تصنيفا بين آلهة رسمية عرفت ديمومة زمنية طويلة، بعكس الآلهة الهامشية والتي زالت مع الوقت لقلّة معتنقيها؛ فالديانة الرومانية عرفت تعددية في المعبودات، إذ كان الرومان والسكان المحليون (المغلوبون) يعبدون آلهة واحدة، غير أن الرومان كانوا في تطلع دائم لأفاق دينية جديدة أينما فتحوا عسكريا بلدا جديدا وعبدوا آلهة هذا البلد، فتميزوا بالنهم التعبدي، وهنا يقف الدارس أمام زخم كبير للمعتقدات الدينية القديمة وتمازج وتنوع يصعب على الباحث الوصول إلى جوهر وحقيقة هذه المعتقدات. فالمعتقدات الرومانية على أرض بلاد المغرب القديم كانت انعكاسا لنظرة الناس قديما للكون والحياة، وحاول الإنسان المغاربي القديم أن يجد تفسيراً لحقيقة الوجود لذا اتخذ آلهة وقوى غيبية.

وقد بذلت روما في سبيل نشر الديانة الرومانية في كل أصقاع العالم القديم عامة وبلاد المغرب القديم خاصة جهودا مضنية وسعت إلى تنظيم الهياكل من معابد ومذابح وفضاءات تعبدية وهذا لتكريس ما سمي بالرومنة الدينية لكن دون فرض هذه المعتقدات والأفكار



الدينية على سكان بلاد المغرب القديم؛ إذ ظل الجميع محتفظا بمعتقداته المحلية القديمة ومُخلصا لألهته التي يفضلها.

وقد تضمنت خريطة المعتقدات إلى جانب الديانة الوثنية الرومانية الوافدة، معتقدات محلية محضة، فضلا عن معتقدات فينيقية-بونية وأخرى شرقية مصرية كنعانية وفدت إلى بلاد المغرب القديم عبر قوافل التجارة البرية والبحرية، ورغم هذا التنوع والاختلاف الديني، عاشت بلاد المغرب القديم تسامحا ووثاما دينيا مدهشا.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

- حارش (م.ه)، "أصول عبادة أمون في المغرب القديم" مجلة الدراسات التاريخية، العدد 4، الجزائر، 1985.

- عكاشة (ث)، الفن المصري، القاهرة، دار المعارف، الجزء الأول، 1991.

- هاولز (و)، ماوراء التاريخ، ترجمة أحمد أبو زيد، بيروت، دار النهضة العربية، بدون تاريخ.

باللغة الأجنبية

- Apulée de Madaure, l'Ane d'or, Paris, les belles lettres, 1958.
- Augustin (St), La cité de Dieu, I, 6, p390. Traduction de L.Moreau, Paris, 1854.
- Aymard (A) et Aubayer (Jà), Rome et son empire, Paris, P.U.F, 4^e édition, 1962.
- Beaujeu (J), La religion romaine à l'apogée de l'empire, Paris, 1955.
- Boisier (G), l'Afrique romaine, Paris, Hachette, 1895.
- Camps (G), les Berbères, Paris, Ed, Hespérides, 1987.
- Charbonneaux (J), Histoire générale des religions –Grèce- Rome, Paris, Voll, (S.M.E), 1944.
- Charrier (L), Description des monnaies de la Numidie, Paris, 1912.
- Contenau (G), Manuel d'Archéologie orientale, tome III, p1555, Paris, 1931.
- Demaeght (L), « Statue de la déesse maure », in, B.S.G.A.O, 1891.
- Dupuis, Origine de tous les cultes, ou Religion universelle, Paris, Edition nouvelle, Tome 10, 1836.



- Dussau (R) « Inscription néo-punique de Bir Tlelsa relatant la construction et la consécration d'un autel » in, B.A.C.T.H, tome 34, 1914.
- Eliade (M), Aspects du mythe, Paris, Gallimard, 1963.
- Eutope, Abrégé de l'histoire romaine, II, 1.
- Eutrope, Abrégé de l'histoire romaine, traduit par Maurice Rat, livre II, 59, Paris, 1934.
- Fevrier (P.A), Approches du maghreb romain, Aix-En-Provence, Marseille, edisud, 1990, II.
- Flamand (G.B.M), Les pierres écrites, gravures et inscriptions rupestres du nord Africain, Paris, Ed.Masson, 1932.
- Fustel de Coulanges, la cité antique, Hachette, Paris, (sans date).
- G.Ch.Picard, les religions de l'Afrique antique, Plon, Paris, 1954.
- Gsell (St), H.A.A.N, IV.
- Hacquard (G) et autres, guides Romain antique, Paris, 1952.
- Hamman (A.G), La vie quotidienne en Afrique du nord, au temps de Saint Augustin, Paris, Hachette, 1979.
- Hérodote, Histoires IV, CLXXXVI, trad ; De Larcher, Paris, 1883.
- Hérodote, Histoires, IV, 188, Trad.ph.E.Legrand, Paris, les belles lettres, 1949 ; Picard (G.Ch), les Religions de l'Afrique antique, Paris, Plon, 1954.
- Hérodote, Supra, IV, 188.
- Homère, L'odyssée, traduit par Victor Bérard, Paris, Armand, Colin, 1931.
- Lapeyre (G.G) et Pellegrin (A), Carthage latine et chrétienne, Paris, Payot, 1950.
- M.Dureau de la Malle, recherches sur la topographie de Carthage, Paris, 1835.
- Marron (H.I), « Les religions de l'Afrique antique », in, cahiers de Tunisie (C.T), comptes rendus, tome III, p119, Tunis, 1955.
- Mazard (J), Corpus Nummorum Numidia Mauretaniaequé, (A), Monnaies municipales, n°612, Paris, 1955.
- Moret (A), Le Nil et la civilisation égyptienne, Paris, ed, la renaissance du livre, 1926.
- Nilcon (M.P), La religion populaire dans la Grèce antique, traduit de l'anglais par Frans Durif, Paris, 1954.
- Ovide, Métamorphoses, I, Liv, V, p239, traduit par : J.chamonard, Paris, 1953.
- Perrot (G), « La religion de la mort et les rites funéraires en Grèce », in, Revue des deux mondes, tome, 132, 1895.
- Piganiol (A), « La religion et les mouvements Dociaux dans le Maghreb antique », in, C.H.M, (cahier d'histoire mondiale), tome 13, 1956-1957.
- Pline l'Ancien, Histoire Naturelle (H.N), I, 2, Paris, Trad M.E.Littré, 1848.
- Poupard (P), Dictionnaire des religions, Paris, 2^e ed. P.U.F, 1985.
- Rolin, Histoire Romaine, III, p340, 2^e édition, Paris, 1862.



- Saïssset (A), L'origine des cultes et des mystères, Paris, (S.M.E), 1870.
- Servier (J), Histoire de l'Utopie, Paris Gallimard, 1967.
- Suétone, Vie des douze césars, Vie de claud, p261, Paris, Sans date (S.D).
- Tertulien, Apologétique, IX, 1,2, traduction de Jean pierre Waltzing, Paris, les belles lettres, 1929.
- Toutain (J), Les cultes païens dans l'empire, 3 tomes, Paris, Ernest leroux 1920.
- Toynbée (A), L'histoire, Elsevier, Bruxelles, 1978.
- Virgile, Géorgiques, trauction par, the H.Bareau, Paris, Plon, 1867

الهوامش:

- ¹- Poupard (P), Dictionnaire des religions, Paris, 2^e ed. P.U.F, 1985, p347.
- ²- Saïssset (A), L'origine des cultes et des mystères, Paris, (S.M.E), 1870, p75-76.
- ³- عكاشة (ث)، الفن المصري، القاهرة، دار المعارف، الجزء الأول، 1991، ص178.
- ⁴- هاولز (و)، ماوراء التاريخ، ترجمة أحمد أبو زيد، بيروت، دار النهضة العربية، بدون تاريخ، ص328.
- ⁵- Toynbée (A), L'histoire, Elsevier, Bruxelles, 1978, p496.
- ⁶- Piganiol (A), « La religion et les mouvements sociaux dans le Maghreb antique », in, C.H.M, (cahier d'histoire mondiale), tome 13, 1956-1957.
- ⁷- Eliade (M), Aspects du mythe, Paris, Gallimard, 1963, p193.
- ⁸- Ibid, p194.
- ⁹- Homère, L'odyssée, traduit par Victor Bérard, Paris, Armand, Colin, 1931, p08.
- ¹⁰- Hérodote, Histoires, IV, 188, Trad.ph.E.Legrand, Paris, les belles lettres, 1949 ; Picard (G.Ch), les Religions de l'Afrique antique, Paris, Plon, 1954, p21.
- ¹¹- Dussau (R) « Inscription néo-punique de Bir Tlelsa relatant la construction et la consécration d'un autel » in, B.A.C.T.H, tome 34, 1914, p618-620.
- ¹²- Camps (G), les Berbères, Paris, Ed, Hespérides, 1987, p147.
- ¹³- Plin l'Ancien, Histoire Naturelle (H.N), I,2, Paris, Trad M.E.Littre, 1848.
- ¹⁴- Charbonneaux (J), Histoire générale des religions –Grèce- Rome, Paris, VolI, (S.M.E), 1944, p340.
- * Altaria : Désigne l'Autel où ou brule des offrandes.
- Altaria : يرتبط هذا الاسم بالكلمة Altus وحسب الايتيمولوجيا يعني وجود المذابح في أماكن عالية مرتفعة للرفعة ومكانة المعتقدات الوثنية آنذاك.
- ¹⁵- Dupuis, Origine de tous les cultes, ou Religion universelle, Paris, Edition nouvelle, Tome 10, 1836, p05, 10.
- ¹⁶- Servier (J), Histoire de l'Utopie, Paris Gallimard, 1967, p15.
- ¹⁷- Moret (A), Le Nil et la civilisation égyptienne, Paris, ed, la renaissance du livre, 1926, p86-87.
- ¹⁸- Hérodote, Histoires IV, CLXXXVI, trad ; De Larcher, Paris, 1883.
- ¹⁹- Charrier (L), Description des monnaies de la Numidie, Paris, 1912, p159.
- ²⁰- Hérodote, Supra, IV, 188.



²¹- Demaeght (L), « Statue de la déesse maure », in, B.S.G.A.O, 1891, p561-562.
²²- حارش (م.ه)، "أصول عبادة آمون في المغرب القديم" مجلة الدراسات التاريخية، العدد 4، الجزائر، 1985، صص 11-18.

- Flamand (G.B.M), Les pierres écrites, gravures et inscriptions rupestres du nord Africain, Paris, Ed.Masson, 1932, p370.

²³- Toutain (J), Les cultes païens dans l'empire, 3 tomes, Paris, Ernest leroux 1920.

²⁴- Augustin (St), La cité de Dieu, I, 6, p390. Traduction de L.Moreau, Paris, 1854.

²⁵- Tertulien, Apologétique, IX, 1,2, traduction de Jean pierre Waltzing, Paris, les belles lettres, 1929.

²⁶- Nilcon (M.P), La religion populaire dans la Grèce antique, traduit de l'anglais par Frans Durif, Paris, 1954, p126.

²⁷- Poupard (P), Op.cit, p135.

²⁸- عكاشة (ث) المرجع السابق، ص 203.

²⁹- Aymard (A) et Aubayer (Jà, Rome et son empire, Paris, P.U.F, 4^e édition, 1962, p46.

³⁰- Gsell (St), H.A.A.N, IV, p226.

³¹- Mazard (J), Corpus Nummorum Numidiaie Mauretaniaequé, (A), Monnaies municipales, n°612, Paris, 1955.

³²- Ovide, Métamorphoses, I, Liv, V, p239, traduit par : J.chamonard, Paris, 1953.

³³- Rolin, Histoire Romaine, III, p340, 2^e édition, Paris, 1862.

³⁴- Hacquard (G) et autres, guides Romain antique, Paris, 1952, p74.

³⁵- Gsell (St), H.A.A.N, IV, p227.

³⁶- Lapeyre (G.G) et Pellegrin (A), Carthage latine et chrétienne, Paris, Payot, 1950, p16.

³⁷- Eutrope, Abrégé de l'histoire romaine, traduit par Maurice Rat, livre II, 59, Paris, 1934.

³⁸- Suétone, Vie des douze césars, Vie de claud, p261, Paris, Sans date (S.D).

³⁹- Marrou (H.I), « Les religions de l'Afrique antique », in, cahiers de Tunisie (C.T), comptes rendus, tome III, p119, Tunis, 1955.

⁴⁰- Contenau (G), Manuel d'Archéologie orientale, tome III, p1555, Paris, 1931.

⁴¹- Suétone, Op.cit, vie de Vitellius, IV, 365.

⁴²- Hacquard (G), Op.cit, p22.

⁴³- Perrot (G), « La religion de la mort et les rites funéraires en Grèce », in, Revue des deux mondes, tome, 132, 1895, p122.

⁴⁴- Eutrope, Abrégé de l'histoire romaine, II,1,p59.

⁴⁵- Fustel de Coulanges, la cité antique, Hachette, Paris, (sans date), p231.

⁴⁶- G.Ch.Picard, les religions de l'Afrique antique, Plon, Paris, 1954, p105.

⁴⁷- M.Dureau de la Malle, recherches sur la topographie de Carthage, Paris, 1835, p59.

⁴⁸- Beaujeu (J), La religion romaine à l'apogée de l'empire, Paris, 1955, p103.

⁴⁹- Apulée de Madaure, l'Ane d'or, Paris, les belles lettres, 1958, p138.



⁵⁰ - Virgile, Géorgiques, traction par, the H.Bareau, Paris, Plon, 1867, p340-344.

⁵¹ - Boiesier (G), l'Afrique romaine, Paris, Hachette, 1895, p286.

⁵² - Ibid, p287.

⁵³ - Lapeyre.G et Pellegrin.A, Carthage latine et Chrétienne, Op.cit, p89.

⁵⁴ - Fevrier (P.A), Approches du maghreb romain, Aix-En-Provence, Marseille, edisud,1990, II, p09.

⁵⁵ - Hamman (A.G), La vie quotidienne en Afrique du nord, au temps de Saint Augustin, Paris, Hachette, 1979, p364.

⁵⁶ - Hamman (A.G), Ibid, p365.